العبادة الحقيقية

بقلم/ هيوقو مكورد

تأليف: جيمس ل. ماي

دخل بعض الصبية إلى الحجرة التي كان يتم فيها إعداد عشاء الرب فأكلوا من الخبز وشربوا من عصير العنب الموجود هناك. هل ما فعلوه يُعتبر عبادة؟ كانوا يفعلون من الخارج ما يفعله المسيحيون عندما يتناولون العشاء الرباني. ولكن ما قام به الأطفال ليست عبادة. ولا أعمال مشابهة لهذا يقوم بها المسيحيون بتناول العشاء الرباني يشكل عبادة، لأن العبادة شيء أكثر من هذا.

ما تمثله العبادة

سكب {النفس} لله

كلمة « عبادة » تعنى الاحترام والإكرام لمن يستحق (أنظر الكلمة « عبادة » في معجم اللغة العربية). يريد الناس عادة أن يعبدوا خالقهم. يستجيب كل أصحاب العقول الراجحة بفرح للوعظ: « فرحت بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب » (مزمور ١٢٢: ١).

لم يحصل البشر على رغباتهم وقدراتهم للعبادة بالتطور (اي اباً عن جد)، ولا تستطيع الحيونات أن تعبد. ولكن تعطي الأسفار المقدسة مقارنة بين الجنس البشري والحيوانات:

> كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله (مزمور٤٢: ١ و٢).

عطش الإيل يجعله يبحث عن الماء، والعطش الروحي للإنسان يقوده بفرح إلى استقاء « مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إشعياء ١٢: ٣).

يظهر تشابه ثاني بين الإنسان والحيوانات في المزمور ٨٤: ٣:

> العصفور أيضاً وجد بيتاً والسوسنة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي.

عندما كان العابد بعيداً عن الهيكل صار غيوراً للعصافير التي تعيش في الهيكل. وقال انه يريد أن يعيش هناك أيضاً:

> تشتاق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي (المزمور ٨٤: ٢).
>
> طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك. سلاه (المزمور ٨٤: ٤).

إذن، تسبيح الله هو عبادة. العبادة هي تدفق روح الإنسان نحو روح الله. وهي توقير له الذي خلق العابد وحفظه. هي تقدير وشكر. هي طريقة لقول: « أنا ملكاً لك وأحبك ».

ينتظر المسيحي باشتياق الوقت الذي يجتمع فيه القديسين، كما فرح اليهود في أيام داود عندما دُعي إلى الهيكل (مزامير ١٢٢: ١). يحزن المسيحي إذ لم يستطيع أن يحضر الاجتماع (مزمور ٨٤: ٢).

العبادة هي رد الفعل عندما تملأ أمجاد الخليقة ذهن الإنسان، عندما يهتف: « الله وحده القادر أن يخلق الفضاء! » جوهر العبادة غير ملموس وغير مرئي. هو شعور واحساس، وفكرة التوقير والتقدير في ذهن الذي يرنم: « أنت عظيم! »

عبادة الذهن

بما ان العبادة هي شركة روح الإنسان

(داخلية، غير مرئية، وأبدي؛ أنظر سفر زكريا ١٢: ١؛ متى ٢٢: ٣٢) مع روح الله، فلا يمكن أن تكون شيئاً مادياً. إذا كانت العبادة هي التعبير بالاحترام والتوقير والإجلال، فتكون بالفعل احساس وفكرة الذهن. تلازم الأفعال ما يدور في ذهن العابد، ولكنها مرفقات فقط. قد تشمل العبادة على انحناء الرأس أو الجسد أو كلاهما في صلاة ولكنها ليست انحناء الرأس أو الجسد في صلاة، أو استخدام الشفة لتسبيح الله أو استخدام اليدين لتناول العشاء الرباني واعطاء المال. هذه الأفعال هي ظاهرية، بينما العبادة ذاتها مقدسة وداخلية وذهنية.

لا تكن هناك عبادة لله عندما يظهر الناس المحبة بشفاههم بينما تكون قلوبهم مكرسة للمال. (أنظر حزقيال ٣٣: ٣١). تمييز جسد المسيح (١ كورنثوس ١١: ٢٩) لا يتم بأصابع الشخص أو بفمه. قد يكرم الناس الله بشفاههم حتى عندما يعلم الله ان قلوبهم بعيدة عنه (متى ١٥: ٨). إذاً قلب العبادة هو في قلب العابد.

الجوهر والمظهر

بما أن العبادة تحدث من الداخل، إلا انها تكون مرفقة بأفعال ظاهرية دائماً. تاريخياً، ما يشعر به العابد في قلبه، يحاول عادة أن يعبر عنه ظاهرياً بمظهر جسماني. الكلمة العبرية « شاخه שחח » الأكثر استخداماً لتصوير العبادة تعني أولاً « سجود ». عندما أراد إبرهيم ان يشتري مكان لدفن سارة، قام « وسجد {شاخه שחח} لشعب الأرض » (تكوين ٢٣: ٧). والكلمة نفسها مستخدمة لوصف سجود إبرهيم الداخلي في عبادة الله. عندما قال لخادميه: « اجلسا أنتما ههنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد {شاخه שחח} ثم نرجع إليكما » (تكوين ٢٢: ٥).

هكذا أيضاً الكملة اليونانية للعبادة « پروسكونيو προσκυνεω » والأكثر استخداماً تعني أولاً (من غير الأحرف الأولى) « تقبيل » كان قدماء الفرس يجثون على ركبهم ليقبّلوا يد الملك أو قدميه أو طرف ثوبه. وأخيراً تم نقل العمل الظاهري إلى عمل عقلي للعبادة. لم يعد العمل الظاهري يُذكر عندما يقرأ أحد: « الساجدون {پروسكونتاي προσκυνηται} الحقيقيون يسجدون {پروسكونسوسين προσκυνησουσιν} للآب بالروح والحق » (يوحنا ٤: ٢٣).

من الجلي أن السجود الجسدي كما فعل الجنود أمام يسوع في دار بيلاطس في إنجيل مرقس ١٥: ١٩ والقُبلة الحقيقية (كما فعل يهوذا الاسخريوطي في إنجيل متى ٢٦: ٤٩) يمكن ان يستخدمها المراؤون عندما لا يكون في القلب احترام. قد يتصور أحد إهود بسيف في محاذاة فخذه تحت جلبابه يسجد بابتسامة أمام الملك عجلون قبل ان يطعنه (قضاة ٣: ١٤-٢٣). التعابير الخارجية عن الاحترام في حد ذاتها لا يمكن تسميتها توقير أو عبادة. إن لم يكن هناك سجود في القلب من الداخل لا تكون هناك عبادة.

إذاً جوهر العبادة ليس شيء خارجي. لقد أخطأتُ في السنوات الماضية في الحديث عن « أركان العبادة الخمسة » لأني كنت أعتبر العبادة أعمال ظاهرية، إذ لم أكن أدرك معنى الكلمة « عبادة ». ثمر الشفاه، أي ان الترتيل ليس عبادة في حد ذاته؛ بل يرافق العبادة التي تقام في القلب (عبرانيين ١٣: ١٥؛ ١ كورنثوس ١٤: ١٥). العبادة ذاتها تتم بصورة خاصة في الداخل.

لا بد للشخص أن يستخدم يديه وفمه عند تناول العشاء الرباني، ولكن عبادته هي في تقديره وشكره لجسد الرب المجروح والذي يسيل منه الدم (١ كورنثوس ١١: ٢٩). العبادة ذاتها تتم بصورة خاصة بالذهن.

كما يتعلق الأمر بالترنيم والعشاء الرباني هكذا أيضاً مع بقية « أركان العبادة الثلاثة ». لا شيء ظاهرياً يمثل عبادة (ليست الصلاة ولا التبرعات ولا قراءة الكتاب المقدس).

عندما كان عبد إبرهيم واقفاً عند البئر خارج مدينة ناحور، كان يعبد ولو كنت هناك لما عرفت انه كان يعبد. لم يجثو ولم يرفع يده نحو السماء ولم يغلق عينيه ولم يفوه بكلمة

ولم تتحرك شفتاه، ولكنه كان يعبد في قلبه عندما تكلم إلى الله بتحمس في صلاة (تكوين ٢٤: ١٢-١٤). إذن العبادة الحقيقية هي التفكير فقط - نفساً يتحدث مع الآب في السماء.

ما ليست بالعبادة

العبادة ليست «كل ما نفعل»

يعلم البعض أنه ما دام كل ما يفعله المسيحي هو ليمجد الله (١ كور ١٠: ٣١)، فان حياته غير منقسمة إلى حياة دينية مقابل حياة غير دينية. لقد استخلص هؤلاء المعلمين بان كل ما نفعل هو عبادة.

ما يعلمه هؤلاء المعلمين ذوي النية الحسنة هو حقيقة إذا كان الأمر يتعلق بمئة بالمئة تكريس ليسوع. «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أوتفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كورنثوس ١٠: ٣١)؛ محبة المسيح تجبر المسيحيين أن لا يعيشوا فيما بعد لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام (٢ كورنثوس ٥: ١٤ و١٥). لا يمكن للمسيحي أن يخدم في أوقات محدودة فقط، لأنه مسيحي ليلاً ونهاراً، ولا يتقاعد أبداً في هذه الحياة. ينسى نفسه تماماً. قال الرب بان الذي لا يتخلى عن كل ما له، لا يقدر أن يكون له تلميذاً (لوقا ١٤: ٣٣).

ومن ناحية أخرى، إذا كان جوهر العبادة هو الفكرة بذهن الشخص، وعواطف قلبية - وأعمال ظاهرية ترافق العبادة فقط - فليس كل ما نفعله هو عبادة.

يظهر مفهوم النص في رومية ١٢: ١ تقديم الشخص لجسده كذبيحة حية. وهذه الذبيحة هي خدمة تستمر باستمرار الحياة، وليس التأمل (ال ذي هو العبادة). دُعي المسيحيين لتكون لهم الرغبة على مدار الساعة لخدمة الله والبشر، ولكن من المستحيل الاستمرار في عبادة (تأمل) لمدة أربع وعشرون ساعة في اليوم. حتى ولو استطاع أحد أن يفكر بالله لمدة أربع وعشرون ساعة في اليوم يكون مثل هذا الشخص عديم النفع؛ إذ لا يمكن أن ينجز أي عمل صلاح في حياته. ولو لم يفعل شيئاً غير العبادة فلا يقدر ان يقوم بالعمل أو الأكل.

ليست متواصلة

العبادة لا تكون بصورة متواصلة. صعد إبرهيم على قمة الجبل ليسجد؛ ثم بعد ما سجد رجع إلى خيمته في اسفل الجبل (تكوين ٢٢: ١-٥).

اضطجع داود على الأرض لمدة سبعة أيام في صوم وصلاة من أجل حياة ابنه (٢ صموئيل ١٢: ١٥-٢٠). ولكن عندما علم بان ولده قد مات، قام «داود عن الأرض واغتسل وادهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل» (آية ٢٠). اغتسال داود وتبديله للثياب ودخوله بيت الرب - كل هذه الأفعال سبقت سجوده. وبعد ما سجد لوقت محدد رجع إلى بيته وتناول طعاماً. لم يكن سجوده بصورة متواصلة، ولا يكون هكذا سجودنا نحن ايضا.

سافر رجل حبشي في مركبة لمسافة خمس مئة ميل «إلى أورشليم ليسجد» (أعمال ٨: ٢٧)، ثم رجع إلى دياره. كان هناك سفر طويل قبل سجوده، ورحلة العودة بعد سجوده. للعبادة بداية ونهاية. في حالة الرجل الحبشي، بدأت العبادة وانتهت ثم بدأت مرة أخرى.

العبادة ليست الخدمة

اللافتة القديمة التي تعلق فوق بعض أبواب أماكن العبادة تقول: «ادخل للعبادة وأخرج للخدمة». هذه الفكرة ما زالت صحيحة. صلى (سجد) يسوع أحياناً وحده (مرقس ١: ٣٥)، وصلى (عبد) أحياناً أخرى علانية (متى ١٥: ٣٥ و٣٦). ولكنه فعل أكثر من عبادة: كان «ينتقل من مكان إلى مكان يعمل الخير» (أعمال ١٠: ٣٨).

العبادة هي خدمة لله ويصح القول باننا نذهب إلى «خدمات العبادة». ولكن ليست جميع الخدمات عبادة. حرث الحقل أو عزف القيثار أو تناول الطعام هي ليست عبادة.

العبادة هي «لله» - أي تسابيح مرسلة إلى الله في الأعالي. والخدمة «لبعضنا البعض» - أيادي ممدودة لمساعدة البشر. انه جيِّد

أن يوفر الشخص القوت لأسرته، لتربية الأطفال، وليريح المصابين أو أخذ إجازة (١ تيموثاوس ٥: ٨ و١٠؛ مرقس ٦: ٣١). ولكن مثل هذه الأعمال ليست عبادة. قد يوضع التباين كما يلي:

عبادة	خدمة
نحو الله–	نحو البشر–
يوحنا ٤: ٢٤؛	غلاطية ٥: ١٣؛
أعمال ١٧: ٢٤ و٢٥	عبرانيين ٦: ١٠
فكرة – مزمور ٩٥: ٤	عملاً – أفسس ٤: ٢٨
داخلياً ـ	ظاهرياً –
أعمال ١٧: ٢٥	لوقا ١٠: ٣٣–٣٥.
لله – مزمور ٩٥: ٦؛	لبعضنا البعض –
يوحنا ١٧: ١	متى ١٠: ٤٢
محدودة – تكوين ٢٢: ٥؛	فترة معينة –
٢ صموئيل ١٢: ٢٠	أعمال ٦: ٢؛
	١ تيموثاوس ٥: ١٠
الأعمال الخمسة المرفقة –	أعمال كثيرة – تيطس ٣: ١؛
أعمال ٢: ٤٢؛ أفسس ٥: ١٩	غلاطية ٦: ٩

الخلاصة

يا لجمال وبساطة العبادة العامة! يجتمع المسيحيون معاً في أول الاسبوع لكسر الخبز – وهذا عمل ظاهري واضح للعيان – ولكنهم في قلوبهم يميزون من جديد جسد ربهم المدمي (١ كورنثوس ١١: ٢٩).

تفوح شفاههم بتسابيح لأبيهم السماوي (عبرانيين ١٣: ١٥). قد يرى المشاهد «المظهر الخارجي» فقط «وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب» (١ صموئيل ١٦: ٧).[1] خزنوا ما عندهم بسرور كما نووا لربهم (٢ كورنثوس ٩: ٧)، كما فتح المجوس كنوزهم وقدموا هدايا ذهباً ولبانا ومراً ليسوع الطفل وهم راكعين على ركبهم (متى ٢: ١١).

لم يكن الركوع ولا غنى المجوس عبادة — بل رافق هذان عبادتهم. يغمض معظم المسيحيون عيونهم عند الصلاة كبخور يصعد إلى الله ولكن عيونهم المغمضة ليست هي العبادة، بل يفعلون هذا فقط لمساعدة العابد على تركيز أفكاره على الحديث مع الله.

[1] كتاب الحياة.

لكي يكون للعبادة معنى

عندما نرتل ونصلي ونتاول عشاء الرب ونستخدم تعابير أخرى للعبادة، ما هي الرسالة الأساسية التي يريدها الله منا؟ قد يتم تلخيص عبادتنا في خمس آراء نقدمها لله.

تسبيح: تتحدث الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ١٥ عن ذبيحة التسبيح التي نقدمها لله. يجب أن يكون معظم عبادتنا في شكل تسبيح. تساعدنا كلمات الترانيم والصلوات في التفكير بالـ«تسبيح».

الشكر: تذكر الرسالة إلى أهل فيلبي ٤: ٦ الصلوات والدعاء مع الشكر (أنظر أيضاً أفسس ٥: ٢٠). من إحدى رسائل عبادتنا الأساسية هي طبعاً الشكر — في الترانيم وفي الصلاة وفي التبرعات وخلال العشاء الرباني.

التوبة: يجب أن «نمتحن» انفسنا عندما نتناول عشاء الرب. عند الكرازة بالكلمة يجب أن نسأل أنفسنا أين أخطأنا، ونطلب مغفرة الله، ونتعهد بالتحسن في الحياة.

طلبات: قال بولس: «... بالصلوات والدعاء مع الشكر لتُعْلَمْ طلباتكم لدى الله» (فيلبي ٤: ٦). قد نرنم بطلباتنا أو قد نفكر بها بصلاة يقودها شخص آخر. نقدمها أحيانا بصورة شخصية في قلوبنا.

فرح: الرسالة إلى أهل فيلبي ٤: ٧، أي مباشرة بعد الآية التي تتحدث عن صلوات الشكر والطلبات تتحدث عن «سلام الله الذي ... يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع». في خدمات العبادة يجب أن نفكر عادة «سلام سلام سلام كامل»، ونشعر منغمسين بفرح في شركة مع الله.

الكلمة الرئيسية للتحسين في العبادة هي ان نتركز أكثر في ان نرسل لله التسابيح والشكر والتوبة والطلبات والفرح عندما نقوم بالعبادة كما أوصى بها.

مقتبس من ستافورد نورث.

النصوص المقدسة الواردة في هذا العدد مقتبسة من الكتاب المقدس، إما من ترجمة «فانديك» الترجمة العربية المألوفة والأكثر إنتشاراً، أو من ترجمة «كتاب الحياة» طبعة سنة ١٩٨٨ و١٩٩٧، جميع الحقوق محفوظة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧